بين ميزان الأتقياء العلماء وميزان الجهلة الأغبياء

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 28 ربيع الأول 1434هـ الموافق لـ 8 فيفري 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

بين ميزان الأتقياء العلماء وميزان الجهلة الأغبياء

معاشر الإخوة الكرام،

كثيرًا ما يدفع الواحد من النّاس ثمن اختياراته السّقيمة الّتي بناها على المظاهر فقط، دون أن يلتفت إلى لبّ الأشياء ومضامينها، كما علّمنا القرآن الكريم وسنّة النّبيّ الكريم.

كثير من النّاس يقدّمون الغنيّ على الفقير، ويقدّمون ذا السّلطان والمنصب الكبير على صاحب المنصب الضّعيف ولو كان ذا مبادئ .

وقد يأخذون برأي القويّ والنّفوذ والسّلطان، ولو كان رأيه سقيمًا، ويسيرون في فلكه لأنّ مصالحهم معه.

ويزوّجون ذا النّفوذ والقوّة والمال، دون الإلتفات إلى شيءٍ آخر، وبعد مدّةٍ يكتشفون خطأهم الفادح، حينما تشكو ابنتهم الزّوج الّذي يدخل سكّيرًا كلّ ليلةٍ، فيذيقها المرّ.

وحين يكتفشون أنّ من تاجروا معه مخادعٌ كبيرٌ، بنهب أموال النّاس بالباطل.

وحينما يورّطهم في متاهاتٍ تُفْسِدُ عليهم دنياهم قبل آخرتهم.

قال تعالى:

" **يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿ 07 ﴾** " سورة الرّوم.

روى البخاري عن سهل بن سعد السّاعدي، والحديث في صحيح ابن ماجة للألباني، عن سهل بن سعد السّاعدي رضي الله عنه: (**مرّ رجل على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال لرجلٍ عنده جالسٍ: (ما رأيك في هذا ؟)، فقال:**

(رجلٌ من أشراف النّاس، هذا والله حريٌّ إن خطب أن يُنْكَحَ، وإن شفع أن يُشَفَّعَ)، قال : فسكت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم مرّ رجلٌ فقال له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (ما رأيك في هذا ؟)، فقال: (يا رسول الله، هذا رجلٌ من فقراء المسلمين، هذا حريٌّ إن خطب أن لا يُنْكَحَ، وإن شفع أن لا يُشَفَّعَ، وإن قال أن لا يُسْمَعَ لقوله)، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (هذا خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا).

وروى مسلم عن أبي هريرة، قال: قال عليه الصّلاة والسّلام: (**رُبَّ أشعث مدفوعٍ بالأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه**).

الله أكبر! أين هذا الميزان من فقراء ومساكين مدفوعين بالأبواب، محتقرين بالألفاظ؟؟.

بعض الإدارات، إذا دخلها ذو مالٍ وسلطانٍ ونفوذٍ، تسارع الموظّفون لقضاء حاجته وخدمته، واذا دخلها رجلٌ من العامّة قد فعلت فيه السّنين ما فعلت، فلا يلتفت إليه أحدٌ.

جاء في السّلسلة الصّحيحة للألباني، وقال أحمد شاكر في المسند إسناده صحيحٌ، عن علي بن أبي طالب: (**صعد إبن مسعود شجرةً، فنظر بعض الصّحابة إلى ساق عبد الله، فضحكوا من حموشة ساقيه** (أي من دِقّتِها)، **فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (مِمّا تضحكون؟ لَرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أُحُد**).

النّاس تفتخر بالمناصب والنّفوذ في السّلطة والمال، فانظر إلى الصّحابة بما يفتخرون:

عن أنس رضي الله عنه، قال: (افتخر حيّان من الأنصار رضي الله عنهم، فقالت الأوس: مِنّا غسيل الملائكة حنظلة بن الرّاهب، ومنّا من اهتزّ له العرش سعد بن معاذ، ومنّا من حمته الدُّبر (أي النّحل) عاصم بن أبي الأقلح، ومنّا من أُجِيزَتْ شهادته شهادتين خزيمة بن الثّابت).

أين هذا الفخر بمن يفتخر بفريق كذا أو بفلان كذا وقد يكون غنيًّا فاجرًا أو مطربًا أو لاعبًا أو ممثّلاً ؟.

أبي الإسلام لا أبَ لي سِواه إذا افتخروا بقَيْسٍ أو تميمِ

كم من أناسٍ لا يرون الحقّ إلاّ مع ذوي الجاه والمال والنّفوذ والقوّة، وبسبب هذا الميزان يخطئون السّبيل، ويسلكون سبيل الغيّ، ويقفون مع الرّذيلة والظّلم والباطل.

قال تعالى مبيّنًا سبب ضلال وانحراف بعض النّاس، حاكيًا عن حالهم يوم القيامة:

" وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿ 67 ﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿ 68 ﴾ "سورة الأحزاب.

والسّادة عظماء القوم كالملوك والكبراء، هم عظماء العشيرة، أي الّذين يملكون القوّة والمال.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله،

جاء في الحلية لأبي نعيم، قصّة زواج ابنة سعيد بن المسيّب سيّد التّابعين، عالم التّابعين الّذي لم تفته تكبيرة الإحرام أربعين سنة، خطبه عبد الملك بن مروان في إبنته لولده فرفض سعيد، فعن إبن أبي وداعة قال: **{ كنت أُجَالِسُ سعيد بن المسيّب ففقدني أيّامًا، فلمّا جئته قال: (أين كنت؟)، قلت: (توفّيت أهلي فاشتغلت بها)، فقال: (ألا أخبرتنا فشهدناها؟) }.**

قال: { ثمّ أردت أن أقوم، فقال هل استحدثت امرأة؟)، فقلت: (ومن يزوّجني وما أملك إلاّ درهمين أو ثلاثة؟)، فقال: (أنا)، فقلت: (أَوَ تفعل؟)، قال: (نعم)، ثمّ حمد الله تعالى وصلّى على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وزوّجني على درهمين أو قال ثلاثةٍ }.

قال: { فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي وجعلت أتفكّر ممّن آخذ، ممّن أستدين فصلّيت المغرب، وانصرفت إلى منزلي واسترحت، وكنت وحدي صائمًا، فقدّمت عشائي أفطر خبزًا وزيتًا، فإذا بآتٍ يقرع، فقلت: (من هذا؟)، قال: (سعيد) }.

قال: { فأفكرت في كلّ إنسانٍ اسمه سعيد إلاّ سعيد بن المسيّب، فإنّه لم يُرَ أربعين سنةً إلاّ بين بيته والمسجد، فقمت فخرجت، فإذا سعيد بن المسيّب، فظننت أنّه قد بدا له، فقلت: (يا أبا محمد ، ألا أرسلت إليّ فآتيك؟؟)، قال: (لأنت أحقّ أن تؤتى) }.

قال: { قلت: (فما تأمر؟). قال: (إنّك كنت رجلاً عزبًا فتزوّجت، فكرهت أن تبيت اللّيلة وحدك وهذه امرأتك). فإذا هي قائمةٌ من خلفه في طوله، ثمّ أخذها بيده فدفعها بالباب وردّ الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب ثم قدّمتها إلى القصعة الّتي فيها الزّيت والخبز، فوضعتها في ظلّ السراج لكي لا تراه، ثم صعدت إلى السطح، فرميت الجيران، فجاؤوني وقالوا: (ما شأنك؟)، قلت: (ويحكم! زوّجني سعيد بن المسيّب إبنته اليوم، وقد جاء بها على غفلة)، فقالوا: (سعيد بن المسيّب زوّجك؟)، قلت: (نعم وها هي في الدّار) }.

قال: { فنزلوا هم إليها، وبلغ أمّي فجاءت وقالت: (وجهي من وجهك حرامٌ إن مسستها قبل أن أُصْلِحَهَا إلى ثلاثة أيّام) }.

قال: { فأقمت ثلاثة أيّام ثمّ دخلت بها، فإذا هي من أجمل النّاس، وإذا هي أحفظ النّاس لكتاب الله، وأعلمهم بسنّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأعرفهم بحقّ الزّوج }.

قال: { فمكث شهرًا لا يأتيني سعيدٌ ولا آتيه }.

فلمّا أتى مجلس سعيد سأله: (كيف حالك؟)، قال: (على ما يحبّ الصّديق ويكره العدو)، قال: { فانصرفت فوجّه إليّ بعشرين ألف درهمٍ }.

ولم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتّى ضربه مائة سوطٍ في يومٍ باردٍ، وصبّ عليه جرة ماءٍ، وألبسه جبّة صوف.

سعيد بن المسيّب يعلم قدر العلم أمام المال، سعيد بن المسيّب يعلم شأن التّقوى أمام القوّة، ويريد من يأخذ بيد ابنته إلى الجنّة وليس إلى الجحيم، سعيد بن المسيّب يحفظ حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:

(**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله له طريقًا إلى الجنّة**)، صحيح الترمذي للألباني عن أبي داود.

ويحفظ حديث: (**فضل العالم على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب**)، فإن جمع الرّجل طهارة القلب ورجاحة العقل وجيبًا مملوءًا كان أفضل.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.